

دراسة حصرية: حسن البنا وفقه إدارة الأزمة

تدرج مفهوم الأزمة وفق تطور الأمم ومدى فهمها لطبيعة الحادثة التي تمر بها، فقد نشأ هذا المصطلح كتعبير عن أزمة طبية لدى المجتمع الإغريقي القديم، واستمر كذلك حتى العصور الوسطى في القارة الأوروبية حينما حدثت أزمة بين الكنيسة والدولة، وبحلول القرن التاسع عشر تواتر استخدامها للدلالة على ظهور مشكلات خطيرة أو لحظات تحوّل فاصلة في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولقد استعمل المصطلح بعد ذلك في مختلف فروع العلوم الإنسانية وبات يعني مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء.

تقول الدكتورة/ عفاف عزت رفلة: الأزمة ظاهرة إنسانية وجزء من نسيج الحياة، تنشأ في أية لحظة وفي ظروف مفاجئة نتيجة ظروف داخلية أو خارجية تخلق نوع من التهديد للجميع أو الأفراد، ويتحتم التعامل معها بحزم للقضاء عليها والحد من خسائرها وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية⁽¹⁾.

و البحث في إدارة الأزمة هو أحد الأساليب العلمية لمواجهة المآزق والفتن حتى لا تحدث أزمة وسط أفراد المجتمع.

وإدارة الأزمات تعد واحدةً من أهم وأخطر الإشكاليات التي تواجه الحركة الإسلامية على وجه العموم، فالعمل الإسلامي سواء كان دعويًا أو حركيًا على المحك دائمًا وفي ظل غياب الأطر المؤسسية القانونية لدول العالم الثالث فإن العمل الإسلامي شأنه شأن أي عمل يواجه أزمات أو يصطدم بعقبات إدارية أو أمنية أو سياسية حتى ولو حاول أن يعمل في ظل الأطر القانونية القائمة.

القائمين على العمل الإسلامي في حاجةٍ إلى ما يمكن تسميته بـ"فقه إدارة الأزمات"، فإدارة الأزمة ليست سهلةً ميسورةً، ولكنها تُعد أحد أهم وأخطر عناصر العمل الإسلامي، فإذا لم يُحسن التعامل معها قد تجر على العمل ويلات كثيرة، فلا بد من تحليل أي مشكلة، ودراسة

(1) عفاف عزت رفلة: إدارة الأزمات الأسرية وعلاقتها بالثقة بالنفس لدى الأبناء بمحافظة الفيوم، قسم الاقتصاد المنزلي، كلية التربية النوعية، جامعة الفيوم، ص1.

البدائل في ظلّ الإمكانيات المتاحة، والظروف القائمة، وحسابات الأضرار والمنافع واعتبارات المقاصد الشرعية، وتلمس الحلول المناسبة، دون تفريط في "الثوابت" الخاصة بالعمل أو الخروج عن أُطره⁽²⁾.

مفهوم الأزمة عند البنا

تشعب مصطلح الأزمة عند الإمام حسن البنا ما بين كونها أزمة اقتصادية أو أزمة سياسية، إلا أنه كان يسعى لوضع حلول عملية للأزمة الأخلاقية التي يبنى عليها جميع الأزمات، فيقول في هذا الصدد حينما تصارعت الدول الكبرى على خيرات الشعوب في محاولة للاستحواذ عليها لنفسها: ولكنها أزمة المبادئ والعقائد والنفوس والأرواح، أزمة (الإيمان) أيها الحائرون في طريق الإصلاح. لو آمن الناس برقابة الله وعدالته وإطلاعه عليهم ونظره إليهم وإحاطتهم بما يعملون، واستقرت في أنفسهم معرفة الله العلي الكبير لألهمهم هذا الإيمان يقظة في الضمير، وحياة في الشعور، وعدالة في التعامل، وتعاوننا على مطالب الحياة، وبعدا عن الشرور والآثام⁽³⁾.

وحينما تحدث البعض عن وجود أزمة في المناهج التعليمية شاركهم الإمام البنا تضامنه في ذلك غير أنه أكد أن المشكلة ليست في المناهج لكنها في النفوس فيقول: ولا نظن أن أزمنا "أزمة مناهج"، ولكنها "أزمة أخلاق" قبل كل شيء، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

ولسنا وحدنا الذين نشكو أزمة النفوس والأخلاق، بل إن الإنسانية كلها تعاني مرارة هذه الأزمة في كل أمة وفي كل شعب⁽⁴⁾.

إدارة الأزمة عمليا داخل الجماعة

جماعة الإخوان المسلمين جماعة دعوية ضمت جمع كبير من أطراف المجتمع على اختلاف لهجاتهم ومستوياتهم التعليمية والاقتصادية، وطبيعة الأماكن التي نشأوا فيها، ولذا ضمت العديد

(2) فقه إدارة الأزمات.. الإمام حسن المصبيي أمودج: مارس 2007م، <https://bit.ly/2YaDb2w>

(3) حسن البنا: مقال بعنوان أزمة نفوس وأرواح، مجلة الإخوان المسلمون، العدد (15)، السنة الأولى، 28 ربيع أول 1362 / 4 أبريل 1943، ص3.

(4) حسن البنا: مقال بعنوان برنامج قومي، الإخوان المسلمون، السنة الأولى، العدد (190)، 23 محرم 1366هـ - 17/12/1946م، ص1.

من أصحاب الأمزجة المختلفة، وطبيعياً أن تحدث أزمات في طبيعة تفسير النصوص أو تطبيقها وفق مستوى الفهم والامام بالجوانب العلمية.

ولقد حاول الإمام حسن البنا أن يتعامل في كل مواقف مع الأزمات - سواء داخل الجماعة أو مع غيرها - بالحكمة والتزوي وتقديم المصالح العامة والمرسلة فوق المصالح الفردية، فيقول في أحد الأصول العشرين: ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهاً عدة، وفي المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات⁽⁵⁾.

لقد مرت بالجماعة العديد من الأزمات الكبيرة التي حدثت نتيجة لسوء الفهم أو لرغبة شخصية في منصب وغيرها ومن ثم تعامل الإمام معها بأقصى درجات ضبط النفس حتى لا ينهار البنيان الذي عمل على بنائه، وخلال السطور القادمة نتعرف على بعض المواقف التي تعامل معها الإمام البنا.

أزمة شباب محمد

ما إن انتقلت الدعوة إلى القاهرة حتى اتسع نشاطها وزاد عددها وتكونت العديد من الشعب في بقاع كثيرة من القطر المصري، وتكون مكتب إرشاد لقيادة الجماعة، كما تشكل مجلس شورى عام للجماعة، ومع ذلك لم تسلم الجماعة من الأزمات التي واجهتها داخل الصف.

في صيف عام 1937م أعلن أربعة من الإخوة كان منهم الأستاذ محمد عزت حسن عضو مكتب الإرشاد وبعض الطلبة، أعلنوا اعتراضهم على سياسة الإخوان في بعض القضايا مثل تعامل الإخوان مع الحكومة حيث كان يرون أن الجماعة لا بد أن لا تتعامل مع مثل هذه الحكومات، بالإضافة لإلزام جميع النساء بالحشمة.

إلا أن الإمام البنا تعامل مع الموقف بشفافية حينما أوضح أن الدعوة ما زالت غضة طرية وأنها لا تقوى على مواجهة الحكومات والصدام معها، بالإضافة أن الجماعة ليست وصيلة على جميع

(5) حسن البنا: رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2006م.

النساء فلا تستطيع أن تلزم أحد بمنهجها الإسلامي، وتستخدم معهم سبل الاصلاح التدريجي والدعوي.

ولحرص الأستاذ البنا عليهم جمعهم وجلس معهم وفند بالحسنى كل ما يثيرونه، غير أنهم لم يستجيبوا لذلك بل قاموا باحتلال المركز العام والضغط على من يحصر بمبايعتهم وكانت أزمة كبيرة، فأمر الإمام البنا بتميز من مع الجماعة ومن مع هؤلاء الأفراد، ويوما بعد يوم انفض عنهم من كان معهم وصاروا وحدهم مما دفعهم لترك الجماعة⁽⁶⁾.

أزمة إخوان الحرية

منذ أن جثى المستعمر البريطاني على صدر مصر بعد خيانة بعض الزعماء المصريين من السياسيين والعسكريين لأحمد عرابي في سبتمبر من عام 1882م وهو يعمل على تفكيك الدولة ومحاولة طمس هويتها، وقد قاومته شخصيات بصفة فردية أو جماعات سرية قليلة، غير أن نشأة الإخوان ومنهجهم أفزع الإنجليز حيث وجد أنهم أخطر على وجوده من غيرهم ولذا حاول وضع جميع العراقيين لحل الجماعة أو وقف نشاطها، أو رشوتها، بل أقدموا على نفي البنا لقنا ثم اعتقاله ووكيل الجماعة وسكرتيرها العام، لكنها باءت بالفشل - خاصة في ظل الضربات التي كان يوجهها الجيش الألماني للبريطانيين، وكان من هذه الوسائل إنشاء جماعة تسمى إخوان الحرية في محاولة لجذب المصريين إليها وفضهم عن الإخوان المسلمين.

نشأت إخوان الحرية على يد فان فاى - أحد المستشرقين- واختار أحد المشايخ يدعى الشيخ الزواوي ليكون على رأس الجماعة ليصرف الناس عن الأستاذ البنا⁽⁷⁾.

تأسست هذه الجمعية بمصر في عام 1942م، وسرعان ما فتحت لها فروعاً في العراق وعدن، وكانت رئيسة هذه الجمعية على النطاق العالمي والتي أسست نظامها مس فريا إستارك، أما مستر فاى فكان المراقب العام لإخوان الحرية بمصر، واتخذت الجمعية مقراً لها في بيت السنارى بشارع الكومي بالسيدة زينب⁽⁸⁾.

(6) محمود عبد الحليم - الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - ج1 ، دار الدعوة، الإسكندرية، 1998، ص166، 167.

(7) جريدة الجمهور المصري: العدد 57 ، 8 جمادى الأولى 1371هـ / 4 فبراير 1952م، ص3.

(8) نشرة إخوان الحرية: العدد 191 ، 1 ربيع الآخر 1365 هـ / 5 مارس 1944م، ص1.

كان رؤساء هذه الجمعية إنجليز مؤهلون تأهيلاً خاصاً يسهل لهم سبل الاتصال بالمصريين و بالعرب فهم يتكلمون العربية وعلى درجة عالية من الثقافة ، و على دراية واسعة بأحوال البلد الذي سيعملون فيه ، وفضلاً عن ذلك فهم مزودون بسلاحين قاطعين هما المال والنساء .

وكان الهدف الرئيسي للجمعية التي أنشئت من أجله هو أن تكون هذه الجمعية عيناً للإنجليز، وإقناع الشباب أن بريطانيا هي جنة الله في الأرض، ونشر القيم الفاسدة والإباحية بالمجتمع، والتشكيك في العقيدة والشريعة الإسلامية، بالإضافة لتضليل الناس بقصد إبعادهم عن الإخوان المسلمين.

كانت أزمة أحداث خلل في المجتمع وجذب الشباب للفاحشة، فوضع الأستاذ البنا رؤية لاختراق هذه الجماعة وفضحها وتعريتها أمام الشباب المنضمين لها.

ففي البداية أوفد مجموعة من الشباب لاستطلاع أحوال الجمعية وجمع معلومات عن قادتها وعن مهمة كل فرد من أفراد هذه القيادة، وتتبع خطوات هؤلاء الأفراد داخل مقر الجمعية وخارجه والإمام باتصالهم والوصول من هذا التتبع إلى مصدر تمويلهم.

ثم أوفد مجموعة أخرى من الإخوان للاشتراك في نشاطات الجمعية والتظاهر بالتجاوب مع القائمين بهذه الأنشطة، مع الاحتفاظ بأنفسهم بعيد عن التلوث بحجج مختلفة.

وبعد أن ألم بكل شيء عن الجمعية أوفد مجموعة من شباب الإخوان العلماء وأصحاب الثقافات الواسعة، إلى الاجتماعات العامة للجمعية التي تلقى فيها المحاضرات باعتبار هذه المحاضرات هي المصيدة التي يقع بين فكيتها الفرائس من الشباب الساذج الخالي الذهن - ومهمة هذه المجموعة هي التعرض بالنقد إلى الأفكار التي تتضمنها هذه المحاضرات على أن يتبادل أفراد المجموعة - الذين يجلسون في أماكن متفرقة - هذا التعرض واحدا بعد الآخر حتى يلقوا أولاً ظلالاً من الشك على هذه الأفكار أمام الحاضرين ، فتتزعزع ثقتهم بالمحاضرين ، ثم يتدرج أفراد المجموعة في المناقشة حتى يبدأوا في كشف ألعيب الجمعية وفضحها أمام الشبان فضحاً خفيفاً فتؤجل المحاضرة، ثم يتكرر حضور هذه المجموعة أو غيرها للمحاضرات، مع شرح المراحل التي يمر بها الشباب للانزلاق في حبال هذه الجمعية.

بل دفع بطلبة الإخوان في الجامعة والمدارس بحملات توعية للشباب ضد الغزو الفكري الإنجليزي، وقام بنفس الأمر كافة أقسام وشعب الجماعة كلٌّ في قطاعه وبين جمهوره؛ حتى استطاعت الجماعة أن تقلل من خطورة هذه الجمعية، حتى جاء عام وتوقف نشاط جمعية إخوان الحرية⁽⁹⁾.

هجوم الوفد

كانت مصر تتصارعها - في ظل الاحتلال - مجموعة أحزاب أقلية لم يكن لها ثقل شعبي سوى حزب الوفد الذي نال شعبيته من ثورة 1919م، وظل يتربع على هذه الشعبية حتى نشأت جماعة الإخوان المسلمين فسحبت كثير من شعبيته لصالحها، وظن الوفد أن الإخوان منافس لهم في الوصول للسلطة لدخولهم معترك السياسة، ولذا شحذوا نفوس أتباعهم بكره هذه الجماعة، بل عمدت صحفهم على النيل من الإخوان، ولم يقف الأمر على ذلك بل حاولوا شق الصف وهو ما نجحوا فيه مع الأستاذ أحمد السكري - وكيل الجماعة - حينما انقلب على جماعته.

غير أن حادثتين كانا لهما أثر عميق في نفس الأستاذ البنا لكونهما تحريض صريح على القتل من قبل الوفدين ضد الإخوان.

حادثة بورسعيد

فأثناء زيارة الإمام البنا لمدينة بورسعيد يوم السبت الموافق 6 يوليو 1946م، فقد عمد الوفديون إلى إثارة الشغب والتحرش بالإخوان وقذفهم بالحجارة مما أدى إلى نشوب معركة بين الطرفين، وحصار الأستاذ المرشد والحاج عبد الله الصولي والشيخ محمد فرغلي في دار الإخوان ببورسعيد، ولكن الإخوان استطاعوا أن يفكوا الحصار عن الإمام البنا وإخوانه ويتوجهوا إلى الإسماعيلية، وقد أمر الإمام البنا بعدم الصدام مع الوفدين، حتى أنه ارسل خطاب يأمره بتشكيل لجنة لدراسة الموقف والأسباب التي أدت لهذه الأحداث، وأن يعقد مؤتمر يدعى فيه الجميع بما فيهم الوفد وإيصال رسالة أن الأمر ليس تحدياً مع أحد⁽¹⁰⁾.

(9) محمود عبد الحليم: (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ)، دار الدعوة، 1998م، ص360، 361.

(10) الإخوان المسلمون اليومية - العدد 60 - السنة الأولى - 13 شعبان 1365هـ - 12 يوليو 1946م - ص2

لقد تعامل الإمام بحنكة وحكمة حتى لا يتطور المشهد - على الرغم أن الإخوان كانوا يملكون من القوة ما يردعون به الوفدين في هذا الموقف لكنه خاف على الدماء - ولذا كان رده باستعراض القوة العملية حينما جهز كتيبة للإخوان في العام التالي للسفر إلى حرب فلسطين وجعلها تبحر من بورسعيد بدلا من الإسكندرية بعد استعراضها، ليفهم الوفدين أن الإخوان كانوا يملكون القوة لكنهم لم يستخدموها مع أحد من المصريين.

وانتقل المرشد إلى بورسعيد قبل أن تصل الكتيبة، وحين وصلت كان في استقبالها جولة الإخوان هناك بالموسيقى والأناشيد الحماسية، واستيقظت بورسعيد على هذا المشهد، وخطب الإمام البنا في جموع الحاضرين قائلا: أيها الناس ... أتذكرون يوماً في العام الماضي، كنا فيه في مثل هذا الاستعراض، ودون أسباب ولا مبررات وهوجمنا وحطمت دارنا بلا ذنب ولا جريمة ... أتذكرون هذا اليوم؟

إن "الإخوان المسلمون" أبعد نظراً من أن تستفهم هذه المعارك الجانبية، لأنهم أحرص على دماء بني دينهم ووطنهم أن تذهب في سبيل المطامع والأهواء ... في سبيل الزعامات التي لا تتقي ربها في أرواح أبناء وطنها، وقد كان بوسع الإخوان أن يردوا على هذا الاعتداء بمثله، ولكن الخسارة ستكون علينا جميعاً فنحن مهما اختلفنا في الرأي فإننا بنو دين واحد نعيش في مجتمع واحد وفي وطن واحد، لهذا آثر الإخوان المسلمون الحكمة وادخروا جهودهم وجهادهم لقتال أعداء الإسلام، وها هم جنود الإسلام يتحركون على بركة الله إلى فلسطين⁽¹¹⁾.

كانت هذه نماذج من حسن إدارة الإمام البنا للأزمات التي تعرضت لها الجماعة، حتى أن أحبابه بل وأعداؤه أثنوا عليه خيراً في توحيد الصفوف ولم شمل المصريين على قلب رجل واحد، ولم ينتصر لنفسه أو جماعته في موقف من المواقف إلا أن يكون أمر في الدين.

(11) عباس السبسي: مواقف في الدعوة والداعية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1422-2001، ص 185-187